الحداثة*: تحوّلات الإسلام والمسيحية والهندوسية

إعداد: **رضوان السيد**

ظهرت إشكالية العلاقة بين الحداثة والعلمنة مع انتشار مصطلح «عودة الدين»؛ فقد كان طبيعياً أن يَعدّ الباحثون العلمنة ظاهرةً من ظواهر الحداثة؛ إنما مع القول بذلك ظهر أمرٌ آخر: فهل تُعدُّ «عودة الدين» انتكاساً للعلمنة؟ ثم ما العلمنة في الحقيقة، أهي العقلنة الشاملة للعمل الإنساني التي ترى أنه لا مرجع للشأن الإنساني غير الفرد نفسه بعقله ومشاعره وإدراكاته وتصرفاته وعواقبها ـ أم أنّ العلمنة إنما هي بالدرجة الأولى الفصل بين الدين والدولة، أو كما كان يقال قبل خروجها من المجال المسيحي الأوروبي: الفصل بين الكنيسة والدولة؟

ثم كان هناك ملفٌ ثالثٌ ترتّب على الملفين المفهوميين، وهو النقاش الهائل في المجالين الأوروبي والأميركي حول نَقْدِ

* المصادر: مايكل كوك: أديان قديمة وسياسة حديثة (مترجم ـ 2011)، ومانداير وماركوس درسلر: الحداثة وصناعة الدين وما بعد العلمانية، في: العلمانية وصناعة الدين (2017)، وعقيل بلغرامي: راديكالية غاندي السلمية، في: ما وراء الغرب العلماني (2019)، وروث ماس: في النبرات الرؤيوية للإسلام في العصر العلماني، في: العلمانية وصناعة الدين (2017).

الخطاب الاستعماري في الفلسفة والتاريخ والفكر والاستشراق والاقتصاد والإعـلام والعلوم الاجتماعيـة؛ إذ تجذّر هـذا النقد ووصـل إلى أمرين آخرين: الحداثة والدولة الحديثـة، والعلمانية بوصفها موقفاً من الدين، وهي ظاهرةٌ غربيةٌ، لها ظروفها الخاصّة بالمسيحية، فهل تصلح للانتشار والاعتبار في المجتمعات الآسيويـة والإفريقية من ناحية العلاقة المختلفة للدين بالاجتماع وبالدولة وتفكير وذهنيات الأفراد والجماعات. لقد تطوّر نقد الخطاب الاستعماري إلى نقدٍ جذريٍّ للدولة الحديثة، ونقد جذري آخر للظاهرات أو المقـولات العلمانية، سواء لجهة مفهـوم أو مفاهيم علائـق الدين بالدولة.

هناك بالطبع شـكوك فـي إمكان وَسْـمِ الحداثة بأنهـا عَلْمَنةٌ فحسب، وكذلك وَسْمُ الدولة الحديثة بأنها كيانٌ علماني. إنما لا شـك أنّ الظاهرة العلمانية إذا عُدّتْ عقلانية شاملة بحسب ماكس فيبـر ومـدرسته ـ وقـد تعامل بها الغربيـون المستعمـرون مـع المشـرق والعالـم بالمعنـى الأوسع ـ فإنه يكون علينا مراقبة تأثيراتها علـى الديانات القديمة بالمنطقة. وكان ماكس فيبر قد راقب ظاهرة الحداثة مع المسيحية واليهودية والبوذية والهندوسية؛ بينما اشتغل آخرون مثل تشارلز تايلور على البوذية والإسلام، وفي السنوات الأخيرة ظهر الكتاب المهم لبلغرامي عن غاندي والعلمانية، كما ظهر كتاب مايكل كوك (صاحب كتاب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) عن تأثيرات الحداثة في العالـم بشكلٍ مقارنٍ علـى المسيحية والإسـلام والهندوسية، وتنبّهتُ أخيراً لعمل روث ماس على تحوّلات وتحويلات الإسلام، لكنْ ليس في دياره الأصلية، بل في فرنسا.

هل أثرت الحداثة أو العلمنة على الديانات القديمة الثلاث: المسيحية والهندوسية والإسلام؟ من خلال الأعمال الخمـس سنراقب تلك المتغيرات عَبْر ثلاثة أقسام: قسم الهوية، وقسم القيم والأخلاق، وقسم الأصولية. وفي كل قسـم، وفي فصولٍ متتاليـة، ندرس المتغيّـرات والتحـوّلات في كلٍ من الديانات الثلاث، سواء في علائقها بالحداثة أو علائقها بعضها ببعض.

أولاً: متغيرات الهوية:

1 ـ الإسلام:

في بداية الإسلام اقترنت الإثنية العربيــة بالدين، وما كانت الأُطروحة القرآنية ولا الخطاب النبوي تمييزيّاً؛ فالشعوب والقبائل هي مكونات العالم البشري من الناحية الاجتماعية، والرسول ﷺ يقــول: كُلُّكم لآدم، وآدم من تراب.. ولا فَضْلَ لعربي على أعجمي ولا لأسود على أبيض. وقد ظلت الإثنيات متمايزة، وبخاصةٍ الفرس والديلم والترك؛ لكنّ شرعيتها في السلطة كانت أو ظلــت دينية، إضافــةً أو شــرعنةً للممارسات القوة. ورغم إحياء اللغات القديمة الفارسية ثم التركية؛ فإنّ العربية ظلــت سيدة الموقف، وظلّ الانتساب إلى العرب شرفاً حتى أيام ابن خلدون وابن تيمية فعبد الغني النابلسي وشــاه ولي اللّه الدهلــوي. ومع ذلــك فــإنّ الأمثلــة والشواهد الهوياتيــة مــن العصــور المتأخــرة فــي الهند والقوقاز وإندونيسيا وماليزيا والصين تشير إلى صراعٍ مستمر بين الأخوة الدينية والأخوة الإثنية؛ بَيْــدَ أنّ التضامــن الإسلامي ظــلّ ملحوظاً قبل تأثيرات التدخل الغربي وبعده.

في بداية الإسلام اقترنت الإثنية العربية بالدين، وما كانت الأُطروحة القرآنية ولا الخطاب النبوي تمييزيّاً؛ فالشعوب والقبائل هي مكونات العالم البشري من الناحية الاجتماعية، والرسول ﷺ يقول: كُلُّكم لآدم، وآدم من تراب..

لقد بدأ التأثيــر الغربي يظهر في أواخر القــرن التاسع عشر، والثلث الأول من القــرن العشرين، حين بدأت مجتمعــات ذات دعوى إثنية / قومية تتشكّل، وتحمل دعوى إنشاء كيانات قومية. وأفضل مثالٍ على ذلك طورانية تركيا الكمالية، التي تكاد تخلو من الحساسيات الدينية. إنما هناك مثالان آخران: انفصــال المسلمين بدولة باكستــان عن الهند، واختــلاط الإثنية البنجابية مع البنغاليــة في ظل عَدِّ الإســلام هويةً وطنية تــارةً، وحسبان استعلاء الهوية الإثنية (البنغال) تارةً أُخرى. أما مصر فهي نموذجٌ للائتلاف بين الدين والهوية الوطنية قبل صعود الصحويات الحزبية الدينية. لكن في

الوقت نفسه فإنّ الهوية القومية الغربية في الدول الجديدة ما أظهرت في البداية تعارضاً مع الوحدة باسم الدين؛ بحيث عُدَّ الدين عنصراً من عناصر القومية وعواملها الفاعلة. ولنلاحظ أنّ تصاعد النزعة ضد القومية الإثنية من جانب الحزبيين الإسلاميين في كل من الهند/باكستان ومصر كان يُعدّ مقاومةً للاستعمار الغربي، بحسبان الدولة القومية كياناً علمانياً متغرباً. وهكذا فقد كان هناك تنافُسٌ على مصارعة الاستعمار تارةً باسم القومية، وطوراً باسم الإسلام. إنما في الغالب ـ وبحسب وجهة نظر مايكل كوك ورغم قيام منظمة المؤتمر الإسلامي أو منظمة التعاون الإسلامي ـ لن يكون الإسلام قوةً جيواستراتيجية مثل الصين أو روسيا مثلاً.

2 ـ الهندوسية والهوية:

ما كانت الهوية الهندوسية قويةً في الوعي قبل الاستعمار لا بوصفها إثنيةً أو ديناً، والتسمية ذاتها مأخوذة من الخارج الغربي ومن المسلمين الهنود. وقد كان هناك جدال في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع العشرين بين الإصلاحيين الهنود على ثلاث كلمات أو مفردات: هندوسي وهندي وآري، وأيها الأكثر تعبيراً عن هوية الهند. وقد كان هناك بين الدعاة ـ إصلاحيين ومحافظين ـ مَنْ بَحَثَ عن نقاط مركزية تعدُّ هي الهندوسية ذاتها، وهي تعاليم الفيدا وكراهية ذبح الأبقار وعبادة الإلٰه راما، والشبكة الواسعة من المعابد وأماكن الزيارة القدسية. ولأنّ هذه العبادات جميعاً جرى تحديها عَبْر العصور من المسلمين ـ سلطاتٍ ومجتمعاً ـ فإنّ العداء للإسلام والمسلمين عُدَّ بين عناصر التناسق والتوحيد أيضاً.

إنّ هذه الشذرات والعناصر غير المجمع عليها كانت هي الأساس في النزعة القومية **الهندية الهندوسية** المتغربة في الأزمنة الحديثة. وقد انتشرت هذه النزعة في شمال الهند أكثر مما انتشرت في جنوبها، وفي الشمال تكمن جذور سياسات حزب بهاراتيا جاناتا، الذي يحكم الهند اليوم بوصفه حزباً قومياً بالمفهوم الغربي للقومية. بَيْدَ أنّ هذا الإحياء

باسم القومية ظلَّ طبقياً؛ بمعنى أنه لم يُدخِل المنبوذين في جنوب الهند، واحتفظ بنظام الطبقات الثابتة، الذي حاول غاندي تجاوُزَه باسم روح الهند. ويصل الدارسون البريطانيون للمجتمع الهندي إلى استنتاج مؤدّاهُ أنّ الفرق الأساس بين الهوية الإسلامية والهوية الهندوسية: أنه من الناحية الاجتماعية فإنّ لدى الهوية الإسلامية في الدولة الحديثة القدرة على التوحيد، في حين أن الهوية الهندوسية تنقسم في الغالب بصورةٍ لا يمكن تجنّبها. لكنّ الباحثين أنفسهم يشيرون إلى أنه كان بين عناصر وعوامل الجمع (القومي) للهندوس التركيز على العداء للمسلمين، بوصفهم غُزاةً، وبوصفهم قاموا عَبْر التاريخ بتهديم سبعين معبداً هندوسياً. وقد اعتمد حزب بهاراتيا جاناتا في سياسته الانتخابية الشعبوية على هذا العنصر في جمع الناس من وراء راياته في الانتخابات وحتى لدى طوائف المنبوذين. ثم إنّ المسلمين ارتبطوا في الأذهان ـ في التاريخ الحديث للهند ـ بأنهم من أنصار انفصال باكستان التي كسرت وحدة الهند. وبشكلٍ عامٍ فإنّ الحداثة أثرت كثيراً في إبراز القوميين الهندوس؛ لكنّ القومية الإثنية والأخرى الدينية ما كانتا جذابتين. وسيظل الاضطراب والتقلب هو السائد في الاجتماع الهندي، الذي تتراجع القدرات الديمقراطية فيه بعد تراجع حزب المؤتمر الحامل لهويةٍ جامعة.

إنّ الفرق الأساس بين الهوية الإسلامية والهوية الهندوسية: أنه من الناحية الاجتماعية فإنّ لدى الهوية الإسلامية في الدولة الحديثة القدرة على التوحيد، في حين أن الهوية الهندوسية تنقسم في الغالب بصورةٍ لا يمكن تجنّبها.

3 ـ الكاثوليكية والهوية في أمريكا اللاتينية:

يدرس هذا الفصل الدور السياسي للرموز الكاثوليكية في هوية المكسيك القومية. ويورد الباحثون نموذجاً لذلك: عذراء غوادالوبي؛ ففي نهايات القرن التاسع عشر عُدّ معتقد عذراء غوادالوبي «وثنيةً قومية»

بوصفها حارسة المكسيك وأمّ شعبه. وبعد قَرْنٍ كانت أسماء نصف نساء العاصمة مكسيكو مستمدة من عذراء غوادالوبي. لكنّ الكاثوليكية والهوية السياسية لا تتفاعلان بدرجةٍ ملحوظة. وخلال ثورات الاستقلال ظلت العذراء على رايات الثوار رمزاً للوطنية، التي اعترفت بها البابوية. وقد كوَّن المستعمرون البيض ثلاث طبقات، ما زعزعتها الثورات والاضطرابات خلال القرن التاسع عشر. ومع كل هذه الظواهر والمتغيرات والتنوعات بقيت الكاثوليكية هويةً عامة تُواجه ـ بصراحة ـ الاندفاع البروتستاتي القادم من أميركا الشمالية، فكما قال أحد رؤساء المكسيك: المكسيك المسكين، بعيدٌ عن الله، قريبٌ من الولايات المتحدة! وما استطاعت الكاثوليكية أن تلعب الدور المرجوّ في النضال الوطني، بسبب نزعة العداء للإكليروس من جانب الثوار. وهذه النزعة سهّلت لحركات الاختراق البروتستانتي النفاذ، وفي سائر نواحي أميركا اللاتينية وليس في المكسيك وتشيلي فقط. فمن الناحية الدينية عدد البروتستانت الجدد حوالى 11% من السكان؛ ولذلك فبالنسبة **لرودو** ـ المؤلّف القومي الشهير ـ ليست كاثوليكية الڤاتيكان هي الهوية الوطنية، بل الهوية الوطنية عاملان: المعجزة اليونانية، والمسيحية الأولى! ولذلك بقيت نزعة روحانية قوية في الهوية، ونزعة أخرى معادية لليانكي الأميركي. والواقع أنّ معظم الناس في المكسيك ليست لديهم إحساسات قوية بالحاجة إلى هوية مسيحية؛ لأنّ مشكلاتهم في مكانٍ آخر. على أنّ الإحساس العام بهوية أميركية لاتينية ليس ضعيفاً، وإن لم يعمل على المستويات الوطنية في المجال السياسي. إنّ الحكم الواضح للباحثين أنّ الكاثوليكية ـ رغم استقرارها وثباتها في سائر أجواء أميركا اللاتينية ـ لم تؤد دوراً مهمّاً في تكوين الهوية السياسية لأمريكا اللاتينية، وإسهاماتها الهزيلة في صوغ الهويات القومية في المنطقة ما بعد الاتجاه البوليفاري (نسبة لسيمون بوليفار) محدودة. ويبدو أنّ الكاثوليكية في أميركا اللاتينية ما كانت قابلةً لأنْ تكون حاملةً لصوغ الهوية السياسية (بخلاف ما كان عليه الأمر مثلاً في بولندا الأوروبية).

ثانياً: متغيرات القيم

فيما يتعلق بالقيم والأيديولوجيات والنزعات فإنّ عقود ما بعد الحرب الثانية عرضت لدى الغرب لثلاث نزعات قابلة للتصدير: نزعة المحافظة المعتدلة التي تتمسّك بالموجود مع بعض الموروث، والنزعة اليسارية العارضة للمساواة والتضامن والتحرر، والنزعة الثالثة هي النزعة الليبرالية. وما كانت النزعة المحافظة ذات جاذبية خارج الغرب؛ بل حظي النزوع اليساري بشعبية لدى الشباب بالمشرق وأميركا اللاتينية. أما الليبرالية فإن قلّ أنصارها خارج الغرب؛ فإنهم ظلُّوا بين النُخَب الثقافية والسياسية.

إذا التفتنا إلى الموقف من الدين؛ فإنّ المحافظين الغربيين وخارج الغرب كانوا إيجابيين تجاه التقاليد الدينية، بينما كان اليساريون سلبيين دائماً تجاه التقاليد الدينية. في حين انقسم الليبراليون بين علمانيين يعارضون تأثيرات الدين في المجتمع والسياسة، ولا مبالين.

فإذا التفتنا إلى الموقف من الدين؛ فإنّ المحافظين الغربيين وخارج الغرب كانوا إيجابيين تجاه التقاليد الدينية، بينما كان اليساريون سلبيين دائماً تجاه التقاليد الدينية. في حين انقسم الليبراليون بين علمانيين يعارضون تأثيرات الدين في المجتمع والسياسة، ولا مبالين.

- تعرض **الإسلام** لتحدياتٍ فيما يتعلق بالقيم تتصل بالحريات، كما تتصل بالمرأة، وبالتحرر الاجتماعي، وبالتشريع وحكم القانون، وبالليبرالية الأخلاقية بشكلٍ عام. فلا شكّ أنّ الإسلام امتلك منذ القديم تصوراً لمجتمع مثالي، وفي هذا التصور تلعب السلطات دوراً رئيساً؛ ولذلك كثيراً ما كانت المطالب السياسية ذات طبيعة أو مرامٍ أخلاقية، وبخاصة إذا تعلق الأمر بالفقر والحاجة، وبرامج المساعدات الاجتماعية الذاتية وعن طريق الدولة.

وما حظيت الأحزاب الشيوعية واليسارية بشعبيةٍ ملحوظة، وكذلك برامجها في النقابات والحركات الاجتماعية؛ لكنّ الصحويين المسلمين ـ مثل

المودودي وسيد قطب ـ تنافسوا مع الأيديولوجيات اليسارية في المجالين الاجتماعي والاقتصادي. إنما لا يمكن القول: إنّ الصحويين كانت لديهم نزعة تحررية مثل جماعة لاهوت التحرير بأميركا اللاتينية، ومع ذلك فقد أثروا في ممارسات ومؤسسات مثل البنوك اللاربوية، ونشطوا في النواحي والمجتمعات الفقيرة متجاوزين جهود الحكومات.

على أنّ الليبراليين المتأثرين بالتحرريات في الدول الغربية هم الذين كانوا الأشدّ تأثراً بالعلمانيات، وببرامج تحرر المرأة، وبتجاوز التقاليد والقيم المحافظة. وقد وصل بعضهم إلى مراكز تأثير ونفوذٍ في عدة دولٍ عربيةٍ وإسلامية، وكتبوا برامج ضخمة في التحرر من الموروث المحافظ وتحريره، وكانت لهم دائماً سطوة إعلامية، ووجود في جمعيات المرأة والنوادي والتجمعات الثقافية، التي شكّلت أحياناً خليطاً من الليبراليين واليساريين.

ـ وتشير تصورات **الهندوس** المستندة إلى كتاب مانو ـ والمعروضة في الريغ فيدا ـ إلى صورةٍ أكثر تعقيداً بكثير في العلاقة بالقيم الغربية؛ إنها أصول الطبقات الأربع في أجزاء جسد الرب الأقدم: البراهمة من فمه، والكشاتريا من يديه، والفايشيا من فخذيه، والشودرا. وللهندوسية ـ كما هو معروف ـ نظرة سامية للفقر الاختياري، وإلى هؤلاء المتفقرين يُفضَّلُ إرسال الصدقات، وليس إلى أهل الطبقات والفئات الدنيا. فهناك تصورٌ للمجتمع المثالي، لكنه تصورٌ طبقي مغلق؛ ولذلك ما كانت هناك إمكانية غربية للتأثير فيه؛ لأنه لا علاقة له بأي نظام أخلاقي حديث محافظاً كان أو تحررياً. ولذلك تناقضت الاتجاهات بشأنه: أمِنَ الأَوْلى اختراقهُ بالتدريج وتحويله، أم الأفضل الأسلوب الثوري في استبداله من طريق إصلاحيين هنود تربوا في بريطانيا؟

إنّ التأثير الغربي الأكبر على المجرى الهندي يتمثل في النظام الانتخابي الذي أدخلوه وبقي ديمقراطياً حتى الآن، وهو يفرض تساوياً بين المواطنين دون نظر للطبقات، وهناك نجاحٌ لذاك النظام حتى بين

المواطنين دون نظر للطبقات. وهناك استمرار لذاك النظام حتى الآن، لكنْ هناك إيحائيات دينية منتشرة، بعضها يستنهض تقاليد قديمة، وبعضها الآخر ينصرف لمعاداة المسلمين، والعدوان عليهم.

- **الكاثوليكية اللاتينية الأميركية:** تقوم العقيدة الكاثوليكية على أنّ نهاية العالم قريبة، إنما بانتظار القيامة ماذا يفعل المرء؟ عليه أن يترك كل شيء وراءه ويترهبن إذا استطاع. لكنّ الوعي الحديث للكنيسة والرسائل الاجتماعية التي أصدرها البابوات غيّرت الأجواء. وقد قامت منظمة كاريتاس الڤاتيكانية بأعمال خير جليلة؛ إنما ليست هناك نظرية مسيحية للخير، رغم أقوال المسيح في الإنجيل. ولذلك كانت أعمال **لاهوت التحرر** في أميركا اللاتينية شديدة الأهمية في تغيير وجه الكنيسة في السبعينات والثمانينات. إنما ظل هناك كثيرون من المتدينين يعدُّون الأمر خليطاً بين السياسة والدين، ويرون أن القداس والكنيسة ليسا مكانين لجمع أموالٍ للفقراء، أو إخراج مسجونين من طريق الاحتجاج السلمي. ومن الواضح أن الحراك الكهنوتي من جانب بعض المستنيرين ترك تأثيرات عميقة على رؤية الكنيسة لدى الفقراء والمثقفين. لكنّ النور ما لبث أن خبا، إمّا لأنّ بعض الكهنة المتحررين تركوا الكنيسة وتزوجوا، وإما لأنهم صاروا يساريين. ثم إنّ الڤاتيكان قاومهم بشدة.

إنّ التأثير الغربي الأكبر على المجرى الهندي يتمثل في النظام الانتخابي الذي أدخلوه وبقي ديمقراطياً حتى الآن، وهو يفرض تساوياً بين المواطنين دون نظر للطبقات، وهناك نجاحٌ لذاك النظام حتى بين المواطنين دون نظر للطبقات.

ويمكن الحديث عن نُخَب دينية كانت عندها برامج اجتماعية وأخلاقية باسم الدين وإن لم يكن هؤلاء من رجال الدين المسلمين أو المسيحيين. وهذه الظاهرة كانت معروفةً لدى الكاثوليك مع اقتراب من الڤاتيكان أو عدم اقتراب. وصارت معروفةً لدى الصحويين الإسلاميين المتحمسين.

ثالثاً: النظام السياسي:

يفترض الشكل الغربي للدولة أن يكون جمهورياً ودستورياً وديمقراطياً أو ملكياً دستورياً، وأن يتمتع مواطنو الدولة بالحرية والمساواة والأخوة. فكيف أثرت هذه القيم في تراث الأديان الثلاثة؟

ـ الإسلام:

ساد نظام الدولة القومية في بلدان العالم الإسلامي، وهناك ملكيات وجمهوريات على اختلاف المعايير والممارسات، وقد أثرت الحداثة تأثيرات عميقة وقويـة، وإلّا فإنّ الإسلام في التاريخ الوسيـط وبداية الحديث كان يملك نظاماً يوتوبياً هو نظام الخلافة، والذي يجمع سلطات الدين والدنيا. وقد ضعُف النظام منذ أزمنة بعيدة، وحكـم الملوك والسلاطين والأمراء. لكنْ في أخلاد المسلمين فإنهم ظلوا يقدسون هذا النظام الذي اشـترعه الصحابة بعد وفـاة النبي. وقد حاولـت الأصولياتُ إحيـاءَه في السنوات الأخيرة، فكان مأساة كبرى.

فهناك من جهـة تشبـثٌ بالمثـال الخليفي مـن جانـب الصحويين والمتشددين؛ إنما من جهةٍ أُخرى فإنّ الغالبية من علماء المسلمين أخذت بقيم وقواعد النظام السياسـي الحديث. قلةٌ فقط لا تقول بالديمقراطية، وهناك من يتحدث عنها بلغة الشورى. إنما مع الوقت ما عادت هناك قيم غير القيم السياسية الغربية في متناول المسلمين، وإن اختلفوا في تطبيق المعايير كما سبق القول.

لماذا تعاني الأنظمة السياسية من الاضطراب في الدول العربية والإسلامية؟

بالطبع سيقول أُناسٌ مـن مجموعة «صدام الحضـارات»: لأنّ الإسلام لا يقول بالديمقراطية، وسيجدون شواهد في تصرفات القاعدة وداعش؛ إنما الواقع أنّ الخلافة ما كانت غير مشروعٍ خيالي اتخذ سمات إجرامية، مثل أي مشروع في غير عصره؛ فيمكن إعادة الاضطراب في الأنظمة إلى السياسات الدولية وإلى الاستبداد وإلى الصراعات الداخلية.

ـ الهندوسية:

لا تعرف الهندوسية في تاريخها غير الملكيــة، وهو النظام الممدوح والمقبول في تاريخها وبعــض حاضرها. وهكذا من العسيــر أن نجـد أي صدى ذي دلالة بيــن الملكية الهندوسيــة والقيـم السياسيــة الحديثة. وبسببٍ من هــذا الانقطاع فإنّ القوميين الهنود الأوائــل ما قاموا بشيءٍ لمقاومة إلغاء الإمارات الهندوسية بعد الاستقــلال. ربما كان بين أسباب نجاح الديمقراطية الهنديــة أنه مـا كانت في موروثــات الهند السياسية مثـالاتٌ أو قيـمٌ أو نظـمٌ يمكــن العودة إليهــا، أو استلهامها هرباً مـن الأنظمة التغريبية!

لا تعرف الهندوسية في تاريخها غير الملكية، وهو النظام الممدوح والمقبول في تاريخها وبعض حاضرها. وهكذا من العسير أن نجد أي صدى ذي دلالة بين الملكية الهندوسية والقيم السياسية الحديثة.

ـ الكاثوليكية الأميركية اللاتينية:

للملكيات تراثٌ عريقٌ فــي أوروبا: وعندما استُعمرت أميركا نقــل الإسبــان والبرتغاليون النموذج الملكي معهم. لكنهم كانوا مستعمرين وكانوا مكروهين؛ ولذلك ـ وباستثناءات نادرة ـ سادت الجمهوريات القومية.

وكان يمكــن للكاثوليكيــة أن تترك بصمة خاصةً من خلال **لاهوت التحرير** في الستينات والسبعينات. وفي حين نظر إليه بعضهم بوصفه اختراقاً ماركسياً، نظر إليه بعضهم الآخر بوصفه تنافساً مع الماركسية. أما اليسار وثوراته فقد كانت طاغية. وقد احتاج الأمر إلى عقدين حتى بدأت أميركا اللاتينية تعود إلى الديمقراطية مع بروز بعض الأحزاب الديمقراطية المسيحية في تقليــدٍ لأوروبا. وعلى كــل حال فإنّ هذه الأحــزاب انحطّت وتراجعت شعبيتها، ولم يبق غير العسكريين وحركات اليسار الديمقراطي وغير الديمقراطي.

رابعاً: الأصولية:

إنّ المصطلح في الأصل بروتستانتي Fundamentalism، وهو معنيٌّ بالصحوات والنهضات البروتستانتية المتوالية منذ القرن الثامن عشر في الولايات المتحدة بالذات. ولأنّ ظواهر ومظاهر التشدد في الإسلام والهندوسية والكاثوليكية مختلفة العلل والمصائر أو الأهداف؛ فقد آثرتُ ـ منذ أكثر من عقدين ـ تسمية هذه الصحويات الدينية: إحيائية: Revivalism، وفي نظري فإنّ هذا المصطلح أكثر صدقاً؛ لأنّ الصحويين لا يرجعون للأصول فقط؛ بل هم يضيفون تصورات جديدة بسبب شدة التأثر بالعصر الذي يعيشون فيه، وتكوين تيارات مضادة له. وهكذا فإنه في الإسلام والهندوسية بالذات المقصود التصدي بالأصاليات للتغريب الهاجم؛ في حين تظهر في الإنجيليات الجديدة استلهامات ووجود ما يشبه الوحي الجديد أو النزوع المهدوي في الإسلام. ولأننا ندرس التأثيرات الغربية تحت اسم الحداثة أو العلمانية فإننا لن نتحدث عن البروتستانتية. أما كاثوليكية لاهوت التحرر فقد تأثرت بالوضع البائس لفئات واسعة من جهة، وأفادت من تكتيكات اليسار.

ولذا هناك في هذا المعرض إحيائيان أو صحويتان: الصحوية الإسلامية، والأُخرى الهندوسية. والصحويون الهندوس يعودون إلى أصل الفيدا؛ في حين يعود الإسلاميون إلى الكتاب والسُّنَّة. ويريد الصحويون الهندوس الاحتفاظ بالأصالة أو التقليد الذي يوشك التغريب أن يقضي عليه؛ ولذلك الصحويون الهندوس هم حلفاء التقليديين؛ لكنهم أكثر حركيةً منهم. ولدى بعض أصوليي الفيدا انفصال عن التقاليد الشعبوية من أجل الطهورية، مفيدين في ذلك من الطهوريات البروتستانتية. ومع ذلك فإنّ الفروق بين التقليديين والإصلاحيين تظل يسيرة. ويواجه القوميون الهنود صعوبات في اجتذاب الصحويين بسبب الأهداف المختلفة؛ لكنهم يلتقون معهم على العداء للمسلمين. وقليلاً ما يتدخل التقليديون والصحويون الهندوس في الشأن السياسي.

والأمر مختلف لدى الصحويين والإحيائيين المسلمين؛ فقد بدأوا حركات هوية تحت ضغوطٍ مختلفة من تأثيرات الحداثة: في الهند تحت وطأة القلة، وفي مصر تحت وطأة الاستعمار وقيام الدولة الوطنية. وصاروا ظاهرةً في كل البلدان الإسلامية؛ لكنهم في بعض البلدان تطوروا باتجاهاتٍ حركيةٍ وحزبية. وتطور لديهم نظام أيديولوجي أوصل للمطالبة بتطبيق الشريعة. ولأنّ ذلك غير ممكن من دون قيام النظام السياسي بذلك، فقد أرادوا الاستيلاء على نظامٍ سياسيٍ مثلما فعل الملالي الإيرانيون، ورأوا الخلافة هي الأولى بالتسمية لوجودها في ذاكرة المسلمين. وهكذا تركوا تأثيراتٍ كبيرة وانشقاقية بداخل الإسلام، وعلى سمعته في العالم، وسواء أكانوا جهاديين أم كانوا إحيائيين صحويين سياسيين.

إنّ الحداثة الشاملة ـ والتي صارت سيلاً في العالم وعليه ـ هي التي تسببت في كل هذه المتغيرات والتشققات. وأحياناً يكون ذلك على سبيل التقليد، وأحياناً أُخرى يكون على سبيل المعارضة والمواجهة.

من أين أتت هذه المتغيرات الكبيرة؟ من الحداثة أم من العلمنة على وجه الخصوص؟ العلمنة وجهٌ أو بُعدٌ من أبعاد الحداثة؛ بَيْدَ أنّ الحداثة الشاملة ـ والتي صارت سيلاً في العالم وعليه ـ هي التي تسببت في كل هذه المتغيرات والتشققات. وأحياناً يكون ذلك على سبيل التقليد، وأحياناً أُخرى يكون على سبيل المعارضة والمواجهة. ومن الجلي أن العملية جارية كما في كل العمليات التاريخية وما انتهت بعد: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 140].

التفاهم

مجلة تصدر عن وزارة الأوقاف والشـــؤون الدينية في سلطنة عُمان وتهدف إلى تحقيق الغايات التالية:

1 ـ ترسيخ الإسلام الذي يقوم على التفاهم وحق الاختلاف وتعددية وجهات النظر.

2 ـ إعادة الاعتبار للاجتهاد بوصفه مسـألة حيوية في الفكر الإسـلامي من أجل تجديد ذاته في مواجهة العصر ومتغيراته.

3 ـ العمل على إصلاح مواطن الخلل في الفكر الإسـلامي وفتح المجال لتصورات إسلامية تصدر عن وحدانية لا تشوبها شائبة، وتسعى لتجسيد رؤى مستنيرة، بعيداً عن التعصب.

قواعد النشر

- تتوخى مجلة (**التفاهم**) فـي المقالات التي تنشـرها الموضوعية والاهتمام على حد سـواء برؤية فاهمـة للقضايا الحضاريـة الإسـلامية، ولمقتضيات الموقف العربي والإسلامي الحاضر.
- يشترط في البحث ألّا يزيد حجمه على عشـرة آلاف كلمة، وألّا يكون منشوراً من قبل.
- تشـترط المجلة في البحوث المكتوبة باللغات الأجنبية الحيّة أن تكون خاصة بها، ولم تنشر من قبل.
- يخضع ترتيب مواد المجلة عند النشـر لاعتبارات فنية محضة، لا علاقة لها بقيمة الدراسة أو بمكانة صاحبها.
- الأبحاث التي تُرسـل إلى المجلة لا تُعاد إلى صاحبها، نُشـرت أم لم تُنشر، والمجلة ليست ملزمة بإيضاح أسباب عدم نشرها.
- يعطى صاحب البحث المنشور مكافأة مالية وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ما تنشـره (**التفاهم**) من بحوث يعبّر عـن وجهة نظر أصحابهـا، ولا يمثل وجهة نظر (**التفاهم**) أو الجهة التي تصدر عنها، بالضرورة.
- ترسـل البحوث إلى عنوان المجلـة مطبوعة على قرص أو إلـى بريد المجلة الإلكتروني. متضمناً التعريف بالمرسل وعنوانه.